# نظرة في ديوانه الحوماني

## نقد السائس والمسوس

لم نكن لنحمل انفسنا عناء التفكير والبحث لتدوين كلمة نقد في هذا الديوان لو لم يكن في النقد فائدة يرجى اقتطافها . ولكن ما كل نقد يكتب بروح النزاهة وبغية الفائدة فمنه ماقد يكتب بروح الخبث و بسائق الحسد فلا جني يجنى ولا معوج يقوم وهذا النوع من النقد لايصح ان يسمى سوى شتم وهتك في غير ماحياء وتبصر . فاننا بكتابتنا هذه الكلمة لا نريد الا ان نعرض على الجمهور صورة صادقة للديوان الذي بين ايدينا وهو من نظم الشاعر العاملي الشيخ محمد علي الحوماني — في صفحتين مختلفتين واحدة تعرض وجه الاستحسان والاخرى وجه الاستنكار . غير اننا لانريد ان نخفي باننا نكتب هذه الكلمة بروح قد تختلف عن روح غيرنا من حيث المذهب الاجتماعي ومنحى الفكر . وان شذذنا في شيء عن رأي الجماعة فليس معناه ان في تحليلنا مرضاً وفي تفكيرنا نقصاً بل معناه اننا نختلف في وجهة النظر عن غيرنا ونأخذ من حيث المنبع الذي نستقي عنه ثقافتنا لا اقل ولا اكثر وهذا لايمنع غيرنا من ان يفكر على منهجه الخاص و يكتب مستمداً من ثقافته الخاصة ويحاجج في سبيل ذلك ان شاء فيما لايتعدى حدود المحاججة التي سندها المنطق والعلم الصحيح . فكما يقول هكسلي «ان الذي لايريد ان يلم بما يكتنف الحقيقة من اسرار لايبلغ الحقيقة ابداً» والحقيقة لاتنجلى الا بعد البحث العميق والتفكير الطويل والنقد الواسع . فهلم بنا ننتقد ونفرق « المزيف » من « الخالص » والغث من السمين .



### وصف عام

يتناول القارئ هذا الديوان فيتصفحه اولاً رامقاً العناوين والابواب محاولاً الالمام به الماما بسيطة قبل الخوض في تقاطيع ابياته . فيجد ورقه صقيلا وطبعه متقناً وابوابه اربعة تتقدمها مقدمة تتخللها صور جلها لطائفة من المعممين مما يدلك على آثار البيئة وظواهرها الواضحة . والصورة في الكتاب — بالطبع — اول شيء يجتذب القارئ نحوه لان الانسان مطبوع ( كما يقول الاقتصادي ) على الانجذاب نحو آثار الصناعة النفيسة بسائق الغريزة التي تسوق الفراشة الى النار الوهاج .

يتصدر الكتاب صورة جلالة الملك الحسين بن علي فوقها كلمة اهداء وتحتها ثلاثة ابيات :

لقد اظلم الحق فينا — ابا علي — فلا ينجلي او تطلا
لئن خذلتك رجال ثبت لها في الوغى خشية ان تزلا
فحسبك يوم رفعت اللواء به فوقها حاذراً ان تذلا

يليها صورة الناظم — في الصفحة الثانية — وعلى رأسه الكوفية والعقال وتحتهما كساء افرنجي : كأن اراد ان يمثل لنا الشاعر جسداً افرنجياً يسيره رأس عربي او جسداً تتخلله روح مضطربة نصفها قديم ونصفها حديث ؛ وتحت الصورة قوله :

حياتي ان اتوخى الحيا ة حر العشيرة حر الوطن
ولست ابالي اذا ما حييت أفي النطع ادرجت ام في الكفن

وفي هذا كفاية للتعبير عن نفسه الحرة وروحه الهائجة الوثابة وللرمز الى النقد الجري الذي يضمه الديوان في السائس والمسوس او ( بتعبير اوضح ) في السلطة والشعب .

ثم تأتى المقدمة و يعرض فيها الناظم اسباب شاعريته واحوال بيئته ولا يستغرب القاري بعد قراءتها تلك الروح التى يلحظها فى الديوان من سخط على المجتمع الذي تسوده الطبقات المختلفة الى المناقضات في الرأي الاجتماعى الى التعصب الدينى الطائفى الخاص ؛ اذ هو الذي يقول في مقدمته :

« فانت ترى ان قسماً كبيراً من حياتى الغضة قطعته تاعس الجد في زمرة الباثسين انظم في خلاله المقطعات الشعرية ومطولات القصائد فلا تكاد تعثر فيها على بيت واحد حديث الطراز وانما هو قديم صرف يكاد ينحصر في الغزل والمديح والرثاء لما ستقف عليه في الكلمة الآتية من سيطرة الزعماء والعلماء حتى أصبح قرض الشعر عندي على هذه الطريقة ملكة راسخة ووصفاً لازماً احتاج ابتغاء نبذه والعدول عن نهجه الى حياة جديدة ومحيط غير محيطي الذي حملنى مؤخراً على اخراج هذا السفر ما لمسته فيه بيدي وابصرته بام عينى من بؤس لزارع ونعمى الزعيم وتدجيل بعض المتعممين على السذج من سا كنيه والقاء الحكومة مقاليد الحكم فيه الى هذين الصنيفين من اهله يسترقون النفوس و يغلون الايدي وينتهكون المحارم ويمرحون فى الاعراض ... الخ »

وهذا يدل على ان الكاتب مجدد مصلح وهو كذلك ( بالفعل ) فى ديوانه الا حيث يحاول التوفيق بين النظريات الاجتماعية الحديثة وأسس الدين وحيث يطلق لارادته العنان لاظهار أثر البيئة الدينية فى منظوماته .

متن الديوان

ينقسم الديوان الى اربعة ابواب كما اسلفنا الاول في نقد السائس والثانى في نقد المسوس والثالث فى الاجتماع والرابع في الوصايا . وفي كل باب عدة قصائد يطول شرحها ووصفها هنا غير اننا سوف نثبت هنا ما احسنا به من



وجهى الاستحسان والاستنكار براً بالوعد الذى قطعناه فى اول المقال وليحيط القارئ بالكتاب احاطة تتعدى حد الالمامة البسيطة .

وجه الاستحسان

استحسنا من الباب الاول قصيدة « البرلمان » التي ينتقد فيها آلته العاطلة واعضاءه المزيفين في تلك الربوع واحسن مافيها قوله :

ولا تسألوني عما وعيـ ـت في ندوة الحي اذ جمجموا
فلم أدر اذ رطنوا بالكلا م هل أعرب القوم أم اعجموا

وفى هذا أصدق صورة لبرلمان ليس فيه من العرب ولغتهم والعروبة وروحها غير الاسم .

وقوله فى الدخلاء فى قصيدة عنوانها « تشريدى » :

بكيت على غلب أبطالنا على الهمم الشم من « يعرب »
يعيث « الدخيل » باوطانهم ويحكم فى منتدى « تغلب »

أحسن ما قيل في هذا المعنى وهو يمتاز كثيراً عن قول « شوقي » في الدخيل :

حرام على بلابله الدوح حلال على الطير من كل جنس

من الوجهة الشعرية والمنطقية . اذ قد يعيث الدخيل في وطن أخيه الانسان ويحكم في منتداه اما ان يسطو الطير على وكر أخيه الطير فلا ؛ لان الطير لا يتوقع ان يظفر ببغية في وكر أخيه لا يجدها فى وكره الخاص .

اما حديثه عن السياسة والاستعمار فحدث عن البحر ولا حرج فقوله الذي يرمز الى عصبة الامم

بمن نستجير وفيمن نلو ذ من هضمنا ولمن نشتكي
ندبنا جنيفاً فمن فاتك رفعنا الشكاة الى افتك

من أجرأ القول وأبلغه . ثم يعقب هـذا باستغاثة بالعرب المهاجرين يقول فيها :

الا حامل نفثات يجيش ... بها الصدر مني الى للهجر
الى الهمم الشم من يعرب ... الى الأسد الغلب من حمير

والى القارئ ان يحكم بما فى هذين البيتين من عذوبة ورقة وشاعرية قلب منكسر .

ومن خير ما قرأنا فى الباب الثاني مانظمه تحت عنوان « الفلاح والزعيم » وفيه ثلاثة مشاهد ولا تخلو كلها من نقد مر وتقريع عنيف للزعماء المرهقين .

فهو يبدأ المشهد الاول بقوله :

اذا ما بكت أعين المشفقين ... فلتبك الزارع المشفق
يصيف ليجمع اكداسه ... ويشتو ليضرب بالمعزق

وينتهي بقوله :

فان جاء بالموسمين الخريـ ... ـف جاء الأمير بفرسانه
فخلوا له ثمن ما قد جناه ... وخفوا بسبعة اثمانه
فهل يرفقون به في الخريف ... وما رحموا كده فى الشتا
وكيف ولم تبصروا معرقاً ... له وهو يحصد ما نبتا

ويقول في المشهد الثالث

قضى عمره حامداً شاكراً ... على أكله الخبز والسعترا
ومولاه يأكل ما قد جناه ... نخيلا ويأنف ان يشكرا

وينتهي بقوله :

قضوا بالشعير له مأكلا ... وبالتبن علفاً لابقاره
له العشر مما جنى كاسباً ... و « للبيك » تسعة أعشاره



وجه الاستنكار

لقد جئنا فى القسم المتقدم على ما استحسناه فى الديوان والآن نريد ان نلمح الى ما نستنكره على الشاعر من حيث الفكرة . فقد لمحنا فيما نظمه تحت عنوان « رجال المسيح » شيئاً من القسآء وسوء الظن فى مواطنيه المسيحيين استهجنا اخراجهما بهذه الصورة الشنعآء التى تفرق بين ابناء الوطن الواحـد وتوسع شقة الخلاف . واننا نقول رغم جهلنا درجة صحة قوله :

وكم خائنا من رجال المسيـ ... ـح من كنت تحسبه مسلما
يفاخر ان صافح المستشا ... ر في داره البكر والايما
يعني رأيت فتىً رشحوه ... لتمثيل أمته نائبا
أباح لهم خلة[1] ارهفت ... حشاها ودقت الحاجبا

ونلومه ( حق لوصح قوله فى بعض صغار النفوس منهم ) ان يقول هذا القول العام الذي لاينتظر منه سوى جنى البغضاء والتشاحن الى ما لا نهاية له.

كذلك وجدنا له بعض المنقضات فى الرأي اذ بينما تجده يدعو الى نبذ التعصب الديني والاختلافات المذهبية فى قوله :

اذا كنت مثلي من آدم ... وغايتنا الجدث المظلم
ففيم اليهودي والصابئي ... وفيم المسيحي والمسلم

تجـده يظهر عصبيته الدينية لا بل حتى المذهبية فى مواقف أخر مما لا يستحسن من شاعر مصلح كثير الحسنات كالحومانى . ولعل هذا دليل القلق فى الرأي وعـدم الاستقرار على شيء . ومثل هذا رأيه في الشيوعية اذ انه يؤيدها في قوله :

وقلت شيوعية الثائرين ... قضاء نقالوا على العالم
فقلت قضاء على المستبد ... قضاء على المالك الظالم

(١) الخلة بالضم الزوجة ( وقد اوضح ذلك الشاعر فى اسفل الصفحة )

ثم يعود وينقضها بقوله

فلو وهب المدقع ابن الربا ... ش مافرض الله فى ماله
لما أثمت اذ خبت كف ذاك ... منية ذا تحت اسماله
ارى العقل يقضي بذا قبل ان ... يقوم بتنفيذه الشارع
متى جدت بالخمس او بالزكاة ... ونازعك النعمة الراكع

وهو هنا يظهر أثر التعاليم الدينية وحتى المذهبية فى حل معضل اجتماعى أقرّ به في غير موقف من مواقفه في الديوان . ووجه الخطأ فى هذا الرأي هو ان أهل الاجتماع الحديث يرون ان من الحيف ان يكون نصيب العامل الكاد ، الكادح « صدقة » بسيطة يجود بها « الغني» خازن المال بينما هو يستحق بفضل جهده العظيم الاجر الذي يقيته و يطمن حاجته في الحياة. فالخمس ( عند الجعفرية ) والزكاة عند جميع المسلمين لم ينص بهما الشارع لهذه الغية بل لغاية الاحسان الى الاطفال اليتامى حتى بلوغ رشدهم وذوي العاهات الذين افقدتهم الطبيعة مؤهلات الانتاج

∴

وفي الاخير لانكتم اعجابنا بجرأة الشاعر فى كثير من المواقف التى لم نستطع درجها هنا والذي يقرأ الديوان يجد فيه من الحسنات اكثر مماذكر ولا يستبعد — ايضاً — ان يكون رأيه غير رأينا فيما استنكرناه على الشاعر وهذه نتيجة طبيعية لأختلاف الثقافة ومناحى الفكر كما نوهنا . ؟

---

بين مخطوبة وصديقتها :

المخطوبة : هو معجب بكل شئ في — معجب بصوتي وشكلي وشعري وبشرتي !

صديقتها : وانت ما الذي يعجبك فيه ؟ !

المخطوبة: ذوقه السليم





# عصر الحجة

## وخصومات اليوم الحديث

لقد اخرج فى الايام الاخيرة « السير فيلب كبس» الكاتب الانكليزي الشهير قصة عنوانها « عصر الحجة » تعرض بها لاختلاف المذاهب والعقائد الاجتماعية وتعدد الثقافات فى هذا العصر. وقد اوجد صدور هذه القصة صدى عظيما في المحافل العلمية والادبية في اوربا حتى ان الصحيفة العلمية الصرفة — التى تصدر فى العاصمة الانكليزية — « الطبيعة » عقدت للقصة فصلا شائقاً ، في احدى افتتاحياتها ، بقلم السير اوليفر لوج ، عده اغلب الناس شيئاً شاذاً فى بابه لان لم يسبق لهذه الصحيفة بحثها فى مسألة أدبية ليس لها علاقة بالعلم . ولكن اهمية القصة وما حاول الكاتب اظهاره فيها من صور الحياة الاجتماعية الحديثة وتأثير العلم هو الذي حمل الصحيفة العلمية ان تفتح صفحاتها الاولى بوجه مقال السير اوليفر لوج الذي كتبه تحت عنوان « الادب الاجتماعى او خصومات اليوم الحديث » .

وقد تطرق كاتب هذا المقال الى الاختلاف القائم بين العلم والدين وقال « ان الخصومة الظاهرة بين العلم والدين قبل بضع سنوات عادت الى الظهور ولكن في غير شكلها الاول اذ هي اليوم ادبية اكثر منها دينية » .

ثم قال « لاشك ان لا تزال توجد عصبية دينية تعيش في كنف الجهل ولها تأثيرها غير ان هنالك خصومة بين المثل العليا التي يرمي اليها كل من العلم